



د. سلمان العودة

حين تعيد قراءة الأسماء الحسنی ستجد مفاجأة بانتظارك!

ليس من بين هذه الأسماء المذكورة اسم تمحّض للأخذ والعقاب والعذاب.

فيها أسماء الرحمة والود والمُلفف وأسماء العلم والإحاطة وأسماء الخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير وأسماء القدرة والقوة وأسماء العلو والعظمة وأسماء الجمال والجلال والكمال..

فيها: الرحمن الرحيم الغفور السلام الوهاب الرزاق الفتاح اللطيف الجميل المجيب الودود المصمد البر العفو الرؤوف الغني النور الطيب المّنان الجواد ذو الفضل.. إلخ

وليس فيها: المعذّب المنتقم الآخذ الباطش وهل شديد العقاب اسم من الأسماء الحسنی؟!

الأصح أنه ليس من الأسماء الحسنی بل هو وصف لعقابه بمنزلة قولنا عقابه شديد وبمنزلة قولنا عذابه أليم وهذه لا تكون في أسمائه الحسنی -عز وجل- وهذا الذي اختاره ابن تيمية وابن القيم وجمع من المحققين.

يقول -رحمه الله-: وليس من أسماء الله الحسنی اسم يتضمن الشر إنما يذكر الشر في مفعولاته كقوله تعالى: (نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الَّذِي آتِيهِمُ) وقوله تعالى: (اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود) وقال: وليس في أسمائه الحسنی إله اسم يمدح به ولهذا كانت كلها حسنی..

ومثل ذلك قاله ابن القيم: □

إن أسمائه كلها حسنی ليس فيها اسم غير ذلك أصلاً. وهذا يدل على أن أفعاله كلها خيرات محض لا شر فيها لأنه لو فعل الشر لاشتق له منه اسم ولم تكن أسمائه كلها حسنی وهذا باطل فالشر ليس إليه..

وقال: إن النعيم والثواب من مقتضى رحمته ومغفرته وبره وكرمه ولذلك يضيف ذلك إلى نفسه وأما العذاب والعقوبة فإنما هو من مخلوقاته ولذلك لا يسمى بالمعاقب والمعذّب بل يفرق بينهما فيجعل ذلك من أوصافه وهذا من مفعولاته حتى في الآية الواحدة كقوله تعالى: □

□ (نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الَّذِي آتِيهِمُ)

ويقول الدكتور عمر الماشقر: □

لا يدخل في أسماء الله ما كان من صفات أفعاله أو صفات أسمائه مثل شديد العقاب وسريع العقاب وسريع الحساب وشديد المحال ورفيع الدرجات..

وهكذا قال غير واحد: إنها لم تستعمل إله مضافة أو موصوفة على غير سبيل التسمي بل على سبيل الوصف أو الإخبار فلا تستعمل إله بالصفة التي وردت.

وليس مما توجب أسماؤه الحسنى ألّا يزال معاقباً على الدوام أو غضبان على الدوام أو منتقماً على الدوام وتأمّل هذا المعنى يفتح للنفس آفاقاً من الفقه في أسمائه وصفاته ويزيد معرفته ومحبته ولذا كان النبي يقول في دعائه كما في الصحيحين: والمشر ليس إليك ومعناه على التحقيق: أن الشر لا يضاف إلى الله لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أسمائه فإن له الكمال المطلق من جميع الوجوه وصفاته كلها صفات كمال يحمد عليها ويثنى عليه بها وأفعاله كلها خير ورحمة وعدل وحكمة وأسمائه كلها حسنى فكيف يضاف الشر إليها؟

بل الشر يقع في مفعولاته ومخلوقاته منفصلاً غير قائم به سبحانه وله في ذلك من الحكمة ما لا يحيط البشر به علماً. هذا المعنى يتأكد بدراسة الأسماء الحسنى كما دونها العلماء وهو يدل على أن الفقيه والداعية ينبغي أن يعرف العباد بربهم مقدماً أسمائه الكريمة الحسنى المشتملة على بره وجوده ورحمته ولطفه وعفوه ومغفرته. وأن هذا خير ما يسوق العباد إلى ربهم وهو شعور الحب الذي يجمع العلماء على أنه أفضل شعور وأنبل إحساس وأنه مُقدم على الخوف وعلى الرجاء.

والحب لا يلغي الرجاء ولا يلغي الخوف وهما في الفطرة الإنسانية ولذا كان الأنبياء يدعون ربهم خوفاً وطمئناً وتضرعاً وخيفة كما قال ربنا: (إِنَّهُمْ لَكَايُومُونَ وَإِسْرَاعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) (ادعوا ربكم تضرعاً وخيفة إنه لا يحب الممتدحين ولا تفسدوا في الأرض بعد إذ أصلحها وادعوه خوفاً وطمئناً) بيد أن تأمل الحكمة في اختصاص الأسماء الحسنى بمعاني المدح المطلق والثناء المطلق يسمح باقتباس هذا الدرس العظيم النافع في الدعوة والتربية والبناء والتعليم.

وليس من الدواء لهذا الدرس العميق أن نقرره وأيدينا على قلوبنا ونحن ننتظر أن ينتهي التقرير لنسارع ونقول: نعم.. ولكن! من حق المعاني العظيمة أن تُقرر بعيداً عن المخاوف وتأخذ حقها في النفوس وفي الدروس وفي الحياة العملية دون أن تُصاب بداء الثنائية والحدية الذي يجعلنا نظن أن تقرير هذا المعنى يفضي إلى إلغاء جانب الخوف أو الدرهية أو الدوجل. بل يقرر هذا في سياقه بأريحية تامة ويقرر غيره بأريحية كذلك وهي معان تتكامل وتتعاقد ولا تتعاند. ولو أننا قهرنا أنفسنا على هذا لأورثنا فقهاً أوسع وفتح لنا أبواباً من الخير ربما حرمانها بعجلتنا ورحمة الله تعالى خير لنا من أعمالنا فاللهم ارحمنا ولما تكلنا إلى أنفسنا.